المثقف العربي ومهامه الراهنة

عقدت هذه الندوة في مقر مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت يوم ٣ / ٣ / ١٩٨٣ ، وقد شارك فيها طبقاً للحروف الهجائية كل من الاساتذة .

د . سليم الحص

اقتصادي ، ورئيس وزراء لبنان السابق .

د . غسان سلامة

استاذ محاضر في كلية الحقوق والعلوم
السياسية في جامعة القديس يوسف في بيروت .

د . قسطنطين زريق

مفكر عربي ، واستاذ متمرس في الجامعة الاميركية في بيروت .

د . نادر فرجاني

مستشار المعهد العربي للتخطيط سابقاً وزميل زائر
في كلية سانت انتوني بجامعة اوكسفورد حالياً .

ادار الندوة : د . خير الدين حسيب

مدير عام ، وعضو مجلس امناء مركز دراسات الوحدة العربية .

● **خير الدين حسيب** : اود اولاً ان ارحب بكم باسم **المستقبل العربي** في هذه الندوة ، لعلنا ابتداء نتفق حول الدرجة البالغة السوء التي بلغتها الاوضاع العربية حالياً ، وليس غرض هذه الندوة مناقشة هذه الاوضاع العربية المتردية بقدر ما هو مناقشة علاقة المثقف العربي بها ، ومدى مسؤوليته عنها ، وطبيعة واجبه ودوره فيتصحيحهاوتغييرها ، ومتطلبات وشروط هذا الدور ، بعبارة اخرى فإننا نتطلع في هذه الندوة الى مناقشة الاوضاع العربية الراهنة من زاوية محددة هي زاوية مسؤولية ودور وواجب المثقف العربي فيها .

واعتقد انه من المفيد ان نحدد اولاً المقصود بالمثقف العربي الذي نحاول محاكمته ، ثم نحدد دوره ومسؤوليته فيما انتهى اليه الوضع العربي الراهن بعد تحديد اهم ملامح هذا الوضع . واذا ما تبين لنا من ذلك التحليل ان هناك انحساراً حالياً في دور المثقفين العرب ، فسيكون من المفيد ان نتعرف على مظاهر هذا الانحسار ، ثم نحاول معاً تشخيص اسبابه ،لننتهي من كل ذلك الى تحديد المهام المطروحة على المثقفين العرب في الحقبة الحالية والمستقبل القريب ، ثم نحاول ان نتبين الشروط المطلوبة لقيام المثقفين العرب بهذه المهام ، واخيراً القنوات اللازمة للقيام بها .

فلنبدأ بالسؤال :

ـ ماذا نعني ونقصد بالمثقف العربي ؟ من هو ؟ وفي هذا الاطار ارجو ان تعلقوا اثناء الاجابة على عدد من المفاهيم :

ـ هل نعني جميع المثقفين بمن فيهم المثقف العادي والمثقف المبدع ؟

ـ هل نقصد بالمثقف العربي « المفكر العربي » ؟

ـ هل يندرج في دائرة المثقف العربي ايضاً « الخبير » المتخصص والفني ومتى ولماذا ؟

ـ ماذا نقصد بـ « العربي » في تعبير « المثقف العربي » ؟ وهل هو ايماءة جغرافية مختصرة تعني المثقفين في الاقطار العربية المختلفة ، ام انه تعبير عن اتجاه فكري عربي يقصد به المثقفون ذوو الاتجاه العربي فقط ؟

○ **قسطنطين زريق** : المثقف العربي هو الذي أوتي حظاً من الثقافة في بلد من البلدان العربية . ماذا نعني بالثقافة ؟ نعني مساهمة او مشاركة في حقول الفكر او الادب او العلم بما في ذلك الاختصاص المهني . وتُكتسب إمَّا عن طريق التعلم الجامعي او العالي بشكل من اشكاله ، وإمَّا عن طريق الاطلاع الشخصي والاكتساب الذاتي والممارسة في حقل من حقول الثقافة . طبعاً هذا التعريف تعريف عام ، والمثقفون طبقات كما ذكرتم ، فمنهم من يستطيع ان يدرك ويفهم ويشارك في الامور الفكرية او الفنية او الادبية ، ولكن ليس بالضرورة ان يكون مبدعاً في هذه الحقول ، وهناك المبدع وهناك المثقف العادي ، واظن ان جميعهم يندرجون في مفهوم الثقافة التي نعالجها اليوم . ولا شك انه يدخل في هذا التعريف العام ايضاً المتخصص الفني او المهني ، ولكن لا بد من الاشارة هنا ان هذا التخصص يجب ان يكون مرفقاً باطلاع عام على قضايا الفكر ، او غيره في مجالات الثقافة ومتابعاً لقضايا العصر وكيفية مجابهتها. ولا اظن اننا نقصر في هذا الحوار، وقد يخالفني الاخوة الزملاء ، مفهومنا هنا على المثقفين الملتزمين عربياً ، وانما نعني بصورة عامة المثقفين في البلدان العربية ، سواء أكان التزامهم قومياً عربياً او غير ذلك .

○ **سليم الحص** : إنني اميل الى الاخذ بتعريف المثقف العربي ، قد يكون اوسع قليلاً من

التعريف الذي اعتمده د. زريق ، بمعنى ان المثقف العربي هو المواطن الواعي ، انني اميل الى ان اقرن الثقافة بالوعي ، الوعي المبني على المعرفة والادراك ، والتطلع الى المستقبل ، إنني اعتبر من المثقفين كل من هو على اطلاع عن كثب على اوضاعه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، اي على اوضاع مجتمعه عامة ، مدركاً كل الادراك ما يحيط به من معطيات على كل هذه الصعد ، وكوّن لنفسه نوعاً من التطلع الى المستقبل بالنسبة الى هذه الاوضاع ، وهذا التطلع بالطبع يكون مبنياً على تلك المعرفة وذلك الادراك بحيث انه يتوجب عليه نوع من العمل او النشاط القيادي من اجل دفع مجتمعه الى ما يرى هو انه ملتزم بذلك المجتمع . انا اقرن الثقافة بالمعرفة والوعي ، وبالتطلع الى المستقبل. انا لا اعتبر ان الثقافة هي العلم ، فلا اعتبر ان المدرسة او الجامعة هي التي تقرر من هو المثقف ومن هو غير المثقف . وبهذا المعنى فإنني استطيع ان اتصوّر ان يكون هناك مثقف ولا يكون بحوزته الدرجات العلمية العالية . واستطيع ان اتصوَّر رجلاً غير مثقف بالمعنى الذي اقول ، ويكون حائزاً على أعلى الدرجات العلمية . إنني لا اعتبر من المثقفين رجلاً يقضي كل وقته في المختبر ولا يعلم من امر العالم المحيط به شيئاً ! او هو يعتبر نفسه غير معني بما يدور حوله من تطورات إن على الصعيد الاجتماعي او السياسي او الاقتصادي او ما شاكل ، وإنما يكون كل همه منصباً على المختبر مثلاً . هذا عالم ولكنه غير مثقف بهذا التعريف . وهناك كثيرون من الناس ليس بحوزتهم الدرجات العلمية العالية ، وانما عندهم من الثقافة الواسعة ما يمكن اعتبارهم من طبقة المثقفين : اولئك هم غير المتعلمين ولكن لديهم اطلاع واسع جداً بسبب تحصيلهم الخاص ومتابعتهم لتطورات الامور،عن كثب،وبالتالي عندهم من المعرفة والاطلاع ما يكفي لتصنيفهم ضمن طبقة المثقفين ، وبطبيعة الحال فهم قد كونوا لانفسهم نوعاً من التطلع الى المستقبل. فأنا من الذين يقولون بأن الثقافة مرتبطة بالمعرفة والتطلّع .

○ **نادر فرجاني** : أميل الى قبول تعريف د. زريق . ومن المهم التأكيد على انه لم يقصر المثقف على خريجي التعليم العالي ، فالاطِّلاع الخاص يمكن أن يكون طريقاً للثقافة ؛ وهناك نقطة اخرى مهمة ، تتعلق بأن هناك شرائح مختلفة داخل المثقفين ، كما اسلف د. زريق . وأعتقد اننا يمكن أن نميز شريحة مهمة جداً ، يمكن أن نسميها طليعة المثقفين ، وهذه الشريحة قريبة لما جاء به د. الحص . لهذه الطليعة دور متميز يقتضي الغوص في الواقع والتطلع الى المستقبل . كذلك اعتقد اننا يجب ان ندخل في عداد المثقفين الذين نالوا حظاً من الثقافة في جميع البلدان العربية بغض النظر عن توجهاتهم.هذا هو ، في تقديري ، الاطار المناسب لمناقشة دور المثقفين في الوطن العربي .

○ **غسان سلامة**:ربما يتميز تحديدي بقدر من السلبية.انا لا اعتقد ان تعبير المثقف العربي ما زال اليوم ـ بسبب فقر المحتوى او بسبب تعدده ـ مفهوماً واضحاً . تعبير المثقف العربي يحمل اشكاليتين : اشكالية على مستوى كلمة المثقف ، واشكالية على مستوى كلمة العربي. ارى **الاشكالية الاولى** على الشكل التالي : حملت المجتمعات العربية التقليدية انواعاً من المثقفين التقليديين يمكن اعتبارهم مثقفين عضويين . بشكل اساسي ارى منهم ثلاثة : اولاً ، رجل الدين ، ثانياً ، رجل التعليم ، وثالثاً ، في معظم الاحيان رجل الادارة الذي تميّز في الطبقات العليا من الادارة ، مثلاً في السلطنة العثمانية او في الولايات العثمانية في المنطقة العربية ، تميز اجمالاً بقدر لا بأس به من الثقافة خارج اطار العسكر .

هذه الانواع الثلاثة من المثقفين بعد تدهور السلطنة العثمانية وقيام الدول العربية الحديثة ، تضاءل دورهم وبرز المثقف العربي الجديد اذا صح التعبير ، هذا المثقف تميز أساساً بتدريبه العلمي العالي بالاجمال ، وعلاقة ما بالغرب إمَّا من خلال المدرسة وإمَّا من خلال الاطِّلاع الشخصي ، او من

خلال السفر الى الغرب ،ولدينا صفحات رائعة عن رفاعة الطهطاوي ولقائه بالغرب . اعتقد اننا ما زلنا في مرحلة انتقالية بالنسبة الى تحديد المثقف العربي في المجتمع الراهن ، وهي مرحلة للاسف طويلة اكثر مما كنا نعتقد ، او على الاقل اكثر مما كنت انا اتأمل ، بحيث اننا نرى في الفترة الاخيرة فئات من المثقفين التقليديين يعودون الى الواجهة وكأنهم هم المثقفون العضويون دون غيرهم . مثلاً بعض رجال الدين او حتى بعض رجال الادارة في السلطات القائمة حالياً . ونشهد من جانب آخر استيلاء السلطات على الايديولوجيا بشكل عام ، بحيث اصبح هناك صعوبة لأن تكون مثقفاً خارج الاطر السياسية القائمة . قد تكون وظيفة المثقف الاساسية هي في دفع وتطوير الذهنية النقدية ، فمن خلال استيلاء السلطة على وظيفة المثقف ، لم تعد هذه الوظيفة قائمة ، ولذلك هناك شكوك حول دور المثقف . هناك تداخل بين المثقف التقليدي والمثقف العصري اذا امكن ، التعبير لم يحسم - برأيي - حتى الساعة ، والفترة الانتقالية التي اعتقدنا في الخمسينات ، او اعتقد اخواننا الاكبر مني سناً في الخمسينات انها حسمت ، ارى اليوم في الثمانينات انها لم تحسم ! وثانياً ارى ان الوظيفة لم تعد محددة ، كما كانت محددة، في الخمسينات ، وهنا يمكن اعتبار المرحلة الحالية مرحلة تقهقر الى الوراء . ومن هنا إذا اطّلع احدنا على كتابات الاربعينات او الخمسينات ، يرى وظيفة المثقف ، وشكله ، وانتماءه الى العصرنة اكثر وضوحاً بكثير مما هي عليه اليوم .

اما بصدد **الاشكالية الثانية** المتعلقة بصفة « عربي » ، أعتقد ان ما ذكره د. حسيب في تحديده الاول هو الواقع ، اي هناك اليوم اعداد من المثقفين المشتتين في مختلف البلدان العربية القائمة ويجب ان ننطلق من هنا - باعتقادي - من الواقع وليس من المثال ، وهذا لا يعني اننا لا نريد ان نغيّر الواقع ، انطباعي الاول ان الوعي العام عندما يمكن تسميته بالانتلجنسيات العربية او فئات المثقفين العرب ، بمعنى وعي الانتماء الى مصير واحد هو في الاجمال غائب او يأتي في الدرجة الثانية ، وهذه مسألة - في رأيي - مهمة للغاية . الانتماء الاول يمكن أن يكون لدولة قائمة او الى طائفة او قبيلة ... الخ . وهذا يعني ان قيام الطليعة التي تحدث عنها د. فرجاني ، امر صعب ، لأن الارضية الحالية غير مؤهّلة لقيام هذه الطليعة .وهناك - في رأيي - ملحوظة تاريخية غاية في الاهمية،وهي ان نشوء الدول الحديثة ادى الى مزيد من التدهور في صفة « عربي » ، بمعنى اننا نلاحظ تاريخياً : في العشرينات والثلاثينات والاربعينات حتى في الخمسينات ، - ومثال د. زريق واضح على ذلك - انه كان هناك امكانية الانتقال من بلد عربي الى بلد عربي آخر دون ان يؤدي ذلك الى اي مشكلة لدى المثقفين ، والدليل ان ساطع الحصري تنقل في اربعة بلدان عربية خلال ثلاثين سنة ، وكان له في كل منها دور ريادي ، وكذلك دور عدد من المثقفين الآخرين الذين كتبوا لنا بعض المذكرات ، ودور الاداريين العسكريين في المرحلة نفسها .كان الضابط الكبير يتنقل من جيش الى آخر،وكذلك الاداري الكبير دون مشكلة،بل كان هناك وزير في سوريا ، واخوه رئيس وزراء في الاردن . كل هذه الامور اصبحت صعبة على كل الوظائف ؛ بما فيها المثقف . وهذا يضعف من صفة « عربي » . وهذه الملحوظة التاريخية غاية في الاهمية لأن المثقف العربي اللبناني او السوري الذي يذهب اليوم الى دولة خليجية ، ليست له على الاطلاق المكانة نفسها ، او الوظيفة نفسها التي كانت لساطع الحصري عندما انتقل من سوريا الى العراق ، او من العراق الى اليمن او الى مصر ، وليست له الصفات نفسها التي رافقتكم يا د. زريق عندما انتقلتم من سوريا الى لبنان مثلاً ، اليوم يذهب المثقف وهو في معظم الاحيان ذليل ، وله وظيفة بيروقراطية .

وملاحظتي الاخيرة هي ان الدول القائمة حالياً تُنمي هذه الخصوصيات ، وهذا يجب ان نأخذه

بعين الاعتبار ، حتى لو كان خطابها العلني خطاباً قومياً . إنها تنمي هذه الخصوصيات وتجعلك تشعر بانك غريب في البلد الذي يمكن ان تنتقل اليه .

○ **نادر فرجاني** : دار في ذهني عندما بدأ د. غسان الكلام انه من الافضل عند الحديث عن المثقف العربي ان نعنيه بصورة فئة اجتماعية . فالمفهوم المناسب ، في نظري ، هو المثقفون العرب كفئة اجتماعية ، وليس كأفراد . لأن العامل المهم في التغير المجتمعي هو دور الفئة الاجتماعية .

○ **سليم الحص** : تعقيب مقتضب على ما جاء على لسان د. سلامة . أظن انه ألقى اضواء كاشفة على كثير من الحقائق في المجتمع العربي في هذه الايام . ولكن يبدو لي ان ما قاله يعني ان المثقف العربي في محنة ، ولا يعني ان المثقف العربي غير موجود ، او ان وظيفته غير موجودة ، الوظيفة موجودة ، والمثقف موجود ، ولكن المثقف العربي في محنة . وعليه فإن هذه الندوة بالذات ، ما كانت لتنعقد لو لم يكن المثقف العربي في محنة ، والسؤال مطروح اساساً : اين هو المثقف وما هو دوره ؟ وكيف نستطيع ان نتعرف عليه ؟ قد يكون دور المثقف العربي في هذه الايام مكبوتاً ، وقد يكون مطموساً او مطموراً ، ولكن المثقف العربي موجود ، ووظيفته يجب ان تكون موجودة .

أما بالنسبة الى صفة « العربي » ، فأنا اوافق على الكثير مما قاله د. غسان . وأعتقد ان العروبة كما هي اليوم في الوطن العربي كانت صفة من تلك الصفات ولم تأخذ معنى له مدلوله القومي المؤثر كما قد يكون مقصوداً عند الحديث عن المثقف العربي اليوم . العروبة كانت صفة من تلك الصفات ، بمعنى ان المواطن العادي كان يفكر انه مثلاً بيروتي في لبنان ، انا لبناني ، انا مسلم ، انا عربي ، انا انسان في النهاية من البشر ، اي انه محاط بدوائر من الانتماء ، وهذه صفات طبيعية ، والعروبة تبدو دائرة من تلك الدوائر ، ولا تشكل التزاماً قوياً مؤثراً ، ولا ترتدي حجماً قومياً فاعلاً . وفي مرحلة من المراحل عندما كان هناك نوع من الدفع القومي العربي ولو ظاهرياً ، كان ذلك يقتضي التبعية لقيادة معينة اساساً ، وعندما تزول القيادة تزول الفورة . ذلك لأننا على درجة من التخلف ، ولم نبلغ درجة من التقدم تمكننا من السير بالتزام قومي حقيقي ، كان التزامنا بشخص او بقيادة معينة . ان ما قيل لا ينفي وجود المثقف ، ولا ينفي وجود صفة « العربي » ، ولكن نحن بحاجة الى تعريف معنى الانتماء العربي وتحديده ، اي تحديد إطاره وتنمية الوعي به . العربي موجود ولكن علينا أن ننمي مفهومه ، وننمي شعور الانتماء العربي لديه .

○ **قسطنطين زريق** : يخيل اليّ أننا في هذه المرحلة من الحوار يجب ان ننصبّ اولاً على التعريف الذي طرحته في سؤالك حول المشكلات التي يجابهها المثقف العربي سواء الخارجية منها او الذاتية ، فهذا امر يستوجب فعلاً نقاشاً ، ارجو ان نبادر اليه في الوقت الحاضر .

● **خير الدين حسيب** : استجابة للدكتور زريق ، انتقل الى السؤال التالي وهو : ما هو تقويمكم للوضع العربي العام وما هي مسؤولية ودور المثقف العربي فيما انتهى اليه الوضع الحالي ؟

وكما تعلمون هناك من يرى ان للمثقفين ، الذين يمثلون النخبة ، دوراً أساسياً في قيادة المجتمع . كما هناك ايضاً التحليل الاجتماعي الطبقي الذي لا يرى هذا الدور للمثقفين ، ولا يعتقد انهم يمثلون طبقة متجانسة ، ويعتقد ان عملية التغيير لا بد من ان تتم عن طريق الطبقة العاملة ، مع امكانية ان ينضم اليها فئة من المثقفين الثوريين الذين يمكن أن يثوروا على مصالحهم ، ويتعاونوا مع الطبقة العاملة في عملية التغيير ، فإذا كان بعضنا او كلنا ، وانا منهم ، يرى ان للمثقفين الذين يمثلون النخبة

دوراً مهماً واساسياً في عملية التغيير في المجتمع ، واذا كنا نعتقد ان الاوضاع العربية الحالية قدرية ، فما هو دور المثقفين العرب ومدى مسؤوليتهم عن هذا التردي ؟ وهل هناك حالياً انحسار في دور المثقف العربي في مجتمعه ؟ واذا كان كذلك فلماذا ؟

○ **قسطنطين زريق** : إذا أردنا أن نحلل الوضع العربي العام في الوقت الحاضر من جميع نواحيه فالحديث يطول . واذا عدنا الى التركيز والايجاز يمكن القول بأن الوضع العربي العام في الوقت الحاضر يتّصف بصفة اساسية ، ادعوها العجز ، او انعدام القدرة او على الاقل ضآلتها . القدرة على مجابهة الاخطار الخارجية الاغتصابية المحيطة بالبلاد العربية سواء كان مقصدها الاحتلال ، اقتطاع اجزاء من هذا الوطن كما تفعل الدولة الصهيونية ، او كانت غايتها التسلل او بسط النفوذ واستثمار الموارد والتحكم اقتصادياً وسياسياً في هذه المنطقة . والواضح ان البلدان العربية في هذا الوقت تبدو عاجزة او قليلة القدرة على الوقوف في وجه هذه الاخطار . ثم من ناحية ثانية هي ضئيلة القدرة عن ان تنمي ذاتها تنمية صحيحة على الرغم من كل الخطط التي وضعتها وحاولت تنفيذها في الآونة الاخيرة .. إن كل من يبحث في شؤون التنمية في البلدان العربية ، يلاحظ انها تنمية مقصرة متخلفة مشوهة ، لا تجند الموارد المادية والبشرية التي تتمتع بها البلدان العربية في سبيل مجتمع افضل . ثم ، ثالثاً ، هناك عجز او ضآلة قدرة عن التلاحم او على الاقل التضامن بين الاقطار العربية او المجتمعات العربية ، وهذا التلاحم ضروري سواء من اجل مجابهة الاخطار الخارجية او لتعزيز التنمية في سبيل مجتمع افضل . في كل هذه النواحي نجد ان القدرات ضعيفة ، او ضئيلة ان لم تكن غير موجودة .

اذاً في هذا الوضع المتردي ، ما هو موقف المثقفين العرب؟ المثقف العربي هو من يساهم في تعزيز هذه القدرات ، وما هو دوره في هذا المجال ؟ دوره هو في الرؤية الصافية ، واكتساب المعرفة الصحيحة ونشرها ، وفي التوعية كما قال د. الحص لأن الوعي الرصين هو اساس كل تقدم .

ومن هذه الناحية يقوم المثقف بدور اساسي ومهم ، ونحن اذا درسنا الحركات التغييرية او النهضات التي قامت في الغرب ، او في المجتمعات المتقدمة عامة ، نلاحظ انه قد سبقها وصاحبها توعية فكرية من قبل المفكرين . حتى الحركات التي تقوم بها طبقات اخرى غير طبقات المثقفين ، لا بد من أن تستنير وتسترشد بدعوات المثقفين ومواقفهم ، وعندما ينتمي المثقفون الى هذه الحركات ، فإن وظيفتهم هناك، تنصبّ على المزيد من التوعية ، وتصفية الرؤية ، والمزيد من اكتساب المعرفة وتطبيقها ، فالواقع ان البلدان المتخلّفة التي تريد ان تقوم بقفزة نوعية في حياتها ، لكي تكون مجتمعات افضل لا بد لها من أن تتخذ من المعرفة الصحيحة اساساً لنهضتها . نحن اليوم ندخل عصر المعرفة ، والقدرة الاساسية في المجتمعات المتقدمة هي تلك المستمدة من المعرفة ، وليس من الشعارات او الايديولوجيات . وهنا يكون دور المثقفين في رسم الغايات ، واختيار الوسائل وتصنيف الاولويات وفي النضال الدائم داخلياً في سبيل بلوغ المرتجى.

○ **سليم الحص** : أود ان أعبر تعبيراً آخر عن التشخيص الوافي والمستفيض الذي ابداه د. زريق لمختلف اوجه محنتنا في الوقت الحاضر . اعتقد اننا نعيش ضياعاً بين مشكلة وقضية . ومن الواجب ان نعي ذلك حتى نستطيع ان نخلص القضية من المشاكل العالقة بها . المواطن العربي يعيش مشاكله اليومية ولا يعيش قضيته ، وكذلك المثقف ، فبعد مسلسل المحن التي مرت اصبح الى حد بعيد يعيش مشكلة ولا يعيش قضية ، يعني ان نظره قد غاب عن القضية بجوهرها . واذا ألقينا نظرة عامة على الوضع العربي كما هو اليوم نجد ان كل بلد عربي والمواطنين فيه يعيشون مشكلة حدود او مشكلة

احتكاك بين هذا البلد وجاره . وهناك تقريباً مشاكل بين كل بلد وجاره . وإليك مثلاً المشاكل التي يعيشها ابناء الخليج هذه الايام ، فهم يعيشون تحت هاجسين : الحرب العراقية ـ الايرانية وما يترتب عليها من اخطار وذيول ، ثم مشكلة النفط التي تفجرت بعد الخلافات التي ظهرت في اجتماعات منظمة الاوبك ، وما يترتب عليها من انعكاسات سواء على حياة المواطن العادي او على اوضاع البلدان العربية في الخليج عامة . وبالنسبة الى المشرق العربي فهناك الخطر الاسرائيلي الجاثم . فالمواطن اللبناني مثلاً يعيش محنة عنيفة جداً بسبب الاحتلال الاسرائيلي وما يترتب عليه من اخطار على مصيره القومي والوطني وحتى على مصيره الشخصي. وكذلك سائر دول المشرق العربي التي يتهددها الخطر الاسرائيلي. فكل البلدان العربية تعيش مشاكل ، اما القضية فقد غابت في حمأة المشاكل التي يعيشها المواطن والتي تعيشها البلدان العربية . وانا كثيراً ما اعبر عن هذا الواقع من زاوية المواطن اللبناني الذي يريد ان يكون وطنياً وقومياً بالمعنى الصحيح ، فيجد نفسه يعيش نوعاً من انفصام الشخصية . فيجد المواطن نفسه انه مع العروبة بالمطلق ولكنه ضد الحكومات العربية، لأنه غير راضٍ عن ممارساتها وسياساتها ، وهو مع القضية الفلسطينية كلياً ولكنه ضد التنظيمات الفلسطينية فيما بدر عنها من ممارسات شاذة . وهو مع الشرعية اللبنانية ، ولكنه ضد الدولة اللبنانية فيما يصدر عنها من تقاعس بحقه او تخاذل او تقصير وما الى ذلك . فكيف نتصور وضع المواطن المثقف في لبنان الذي يجد نفسه مضطراً ان يعيش هذا النوع من انفصام الموقف او انفصام الشخصية . هناك مشكلة وهناك قضية ، وقد اختلط الامران على الفرد العربي. فضاعت القضية بالمشكلة . واظن ان من واجب المثقف العربي ان يعكف على اعادة صوغ القضية حتى يخلصها من المشكلة ، حتى تعود القضية الى نقاوتها ، فمن زاوية لبنانية مثلاً هناك قضية وطنية ضاعت في المشاكل التي نعيشها ، والمشاكل اكثر مما يستطيع المرء ان يحصي : مشاكل السلامة اليومية ، مشاكل الامن ، مشاكل الماء والكهرباء ، مشاكل معيشية يومية ، مشاكل البطالة الى ما هنالك . ان المشاكل التي يعيشها المواطن اللبناني تطغى على كل تفكير آخر ، ونحن نطلب منه ان يعي قضيته الوطنية والقومية . إذا احببنا أن نضعها في ضوء آخر ، فإننا نقول إنه كان لطغيان المشكلة على القضية أثر في تغليب المنظور القصير على المنظور البعيد في تفكير المثقف قبل المواطن العادي . ويفترض بنا ـ كما قال د. زريق ـ ان ننتظر من المثقف دوراً قيادياً ، ولكن الدور القيادي يتلازم مع منظور بعيد المدى في التطلع الى المستقبل ، ولكن كيف ننتظر من المثقف ان يفكر بالمنظور البعيد المدى وهو منشغل بمشاكل يومية ، وعلى غير يقين من شأنه اليومي؟ كيف تستطيع ان تخاطب المدى البعيد وانت على غير يقين من المدى القصير ؟ كيف تستطيع ان تفكر في غيرك وانت غير أكيد من يومك اساساً ؟

محصلة القول ان المثقف العربي مطلوب منه ان يرتفع فوق المشاكل التي يعيشها ، وهذا يتطلب الكثير من الإقدام والتضحية وحتى المكابرة حتى يتحلل فكرياً من المشاكل اليومية التي يعيشها ليعرف القضية ويعيد صياغتها ويبشر بها ويدعو اليها في اطار التوعية التي تحدث عنها د. زريق . وانا اتصور ان المسألة الكبرى اذا شئنا ان نحدد مواطن المرض ، تتمثل في اكثر ما تتمثل في غياب الديموقراطية والحريات في الوطن العربي عامة . الحريات في محنة وكذلك الديموقراطيات ، إذاً المثقف العربي في محنة كيف يستطيع المثقف العربي ان يعبّر عن نفسه وان يقوم بدوره القيادي او الرائد الذي ننتظره منه وحريه التعبير مقيدة والديموقراطية غائبة : انا اتصور لو كانت الديموقراطية حية لكان فيها الآليّة لتصحيح مسار معيّن ، او الدفع في اتجاه معيّن . فالمثقف العربي وهو يسعى الى تخليص القضية من المشكلة عليه ان يركز بشكل خاص على الحريات والديموقراطية ، لا يمكن ان ينهض المجتمع العربي

من محنته ما لم نتوصل الى قدر من الحريات والديموقراطية يُؤمن للمثقف حرية العمل وحرية الممارسة وبالتالي القيام بالدور القيادي المطلوب .

○ **غسان سلامة** : انا اعتقد انه تم تشخيص الوضع العربي العام كما جاء في السؤال بشكل جيد ، سواء ما جاء على لسان د .زريق من تركيز على انعدام القدرة العربية في مواجهة الخطر الخارجي او المشاكل الداخلية او ما جاء على لسان د . الحص فيما يخص طغيان المشاكل على القضية . واعتقد ان المسألتين اساسيتان في المرحلة الحالية .وما يأتي ليس الاّ إضافة ثانوية على هذين التشخيصين .كلنا يعرف ما يجري حالياً من حروب اهلية ومن حروب بين الدول غير مبررة ومكلفة للغاية ومن انعدام التنمية الحقيقية ... الخ . ومن اهم عناصر الوضع الراهن حالياً هو امكانية السلطات القائمة الحصول على وسائل استمرار لم تكن متوفرة للسلطات العربية سابقاً . وهذه الوسائل تتم ان بالاتفاق بين سلطات مختلفة ايديولوجياً ومتفقة على ضرورة الاستمرار معاً او في تملك وسائل تجسس وقمع متقدمة . هذان الامران يجعلان السلطات القائمة وكأنها غير قابلة للزوال . وهذا شيء محبط جداً لاكثرية الشعوب العربية ، وهي شعوب تسعى الى التخلص من هذا الوضع . وفي رأيي ان العنصر الاساسي في المشكلة الحالية هو ان السلطات العربية : فئوية ؛ مطلقة ؛ تبدو وكأنها صعبة الاستبدال اكثر مما كان ممكناً في الاربعينات او الخمسينات او الستينات . وهذا مأزق أساسي امام المعارضة العربية إجمالاً ، بما فيها معارضة المثقفين .

للجواب عن الجزء الثاني من السؤال ، اي ما هو دور المثقف في ظلّ هذا الوضع الراهن ، اعتقد بأنه يجب الا نعظّم دور المثقف الى اقصى الحدود . كأن دوره بالاجمال في الوضع الراهن وللاسف ثانوي، بمعنى انه ليس مسؤولاً بشكل أساسي عما حصل . وثانياً ، لأنه لم يقم بدور لكي يصبح دوره طليعياً . هناك شرائح واسعة من الفئة الاجتماعية المثقفة ، وفي معظم البلدان العربية إن لم يكن في كلها ،لعبت دوراً هائلاً في اسباغ شرعية مصطنعة على هذه السلطات بأن قامت بدور مستحدث عصري لما كان يقوم به سابقاً شاعر البلاط . إن جزءاً كبيراً من المثقفين العرب حالياً هم شعراء بلاط ، بمعنى انهم سُلِّموا من قبل السلطات دور الوسيط الدعاوي ، وقاموا بهذا الدور على اكمل وجه لخدمة السلطات ، واحياناً على حساب زملائهم واصدقائهم وقاموا بتشريع القمع والقهر ... الخ . وفي بعض الاحيان ايضاً بالمشاركة فيه . ومن هنا دور المثقف في الوضع الحالي إذا كانت بالفعل الصفة التي ذكرتها وهي وجود سلطات فئوية مطلقة وصعبة الاستبدال هي صفة اساسية ، اذا كان هذا التشخيص صحيحاً ، فإن دور المثقف كان مهماً بالنسبة له ، لأنه ساهم في اسباغ شرعية غير مبررة على هذه السلطات ، ولو انه كان ثانوياً في عملية قيام هذه السلطات .

○ **نادر فرجاني** : بعد ما قيل ، خاصة ما تفضل به د. زريق ، لا يمكن تقديم الا اضافات على المتن .

في حدود مثل هذه الاضافات ، ارى انه من الضروري في تشخيص الازمة الراهنة في الوطن العربي تبين ان هناك مشكلة جماهير . مشكلة الانظمة متفق عليها. ولكن يبدو ان هناك تغييباً شبه كامل للجماهير العربية عن ساحات العمل السياسي حتى تجاه حدث خطير مثل غزو اسرائيل للبنان . وهذا لم يكن حدثاً لبنانياً ، او فلسطينياً ، فقط ، وانما هو حدث عربي خطير في المقام الاول . واهمية هذه النقطة ان لها انعكاسات على المستقبل .

هناك ازمة جماهير بمعنى تغيّب العرب عن ساحات العمل السياسي في اوطانهم ، في وقت ما كان يتصور ان يغيبوا فيه ، تجاه حدث عربي مصيري . ولهاذ الغياب بالطبع اسبابه . ولكن هذه الازمة يمكن وصفها بأنها **هيكلية** ، اي تتصل بصلب البنية الاجتماعية ـ السياسية . والازمة الهيكلية لا يمكن التغلب عليها بسرعة . ولهذا يتوقع ان تستمر ازمة الجماهير لفترة قادمة . واهمية هذا الاستنتاج ان هناك ادواراً معينة للمثقفين في الازمات ، او فترات الانحسار ، تختلف بطبيعتها عن ادوارهم في فترات الصعود القومي او الاجتماعي .

اما عن دور المثقفين ، فقد وضعنا د. زريق على بداية طريق واضح . ويمكن أن نحدد ثلاثة معايير نستطيع ان نقوّم بها الاوضاع في الوطن العربي كما نستطيع ان نقوّم بها دور المثقفين ، سواء في الماضي او فيما يجب ان يقوموا به في المستقبل . هذه المعايير هي الانماء والوحدة والتحرر ، وهي تتفاعل بقوة فيما اسميه مشروعاً قومياً للتنمية في الوطن العربي . الانماء يقصد به تطوير القدرة الانتاجية الذاتية لاشباع حاجات الناس ، ويستهدف تحقيق العدالة الاجتماعية ، ويقوم بمشاركة فعّالة من الناس في تسيير شؤون المجتمع . وتتعاضد جهود الانماء عضوياً مع العمل تجاه الوحدة ، والنضال من اجل التحرر من التبعية لمركز النظام الرأسمالي العالمي . بهذه المعايير يمكن تقويم الاوضاع في الوطن العربي ، وبقدر مساهمة المثقفين في العمل الجاد نثمن مشاركتهم من اجل الانماء والوحدة والتحرر في الوطن العربي .

وقد ذكر د. زريق ثلاث نقاط اساسية في توصيف دور المثقف ، وهي المعرفة والرؤية الصافية والتوعية. وتكوين المعرفة وبلورة الرؤية الصافية ادوار مهمة ومحددة للمثقفين، ولكنهما يختلفان جوهرياً ، في تقديري ، عن التوعية في انهما لا يقتضيان تفاعلاً **مباشراً** مع الجماهير . اما التوعية فهي العامل الحاسم الذي ينقل المثقف من وجود فردي الى دور مجتمعي مهم ، وهو المساهمة في التغيير عن طريق تجلية وعي الجماهير . وانا لا اتصور ان للمثقفين دوراً جوهرياً في عملية التغيير ذاتها ، انما دورهم الجوهري هو في تجلية وعي الجماهير تحضيراً للتغيير . ويجب ملاحظة انه لا يمكن تجلية وعي الجماهير بفعالية الا على اساس من الرؤية الصافية التي تقتضي بدورها المعرفة المتعمقة . وعلى هذا ، فإن دور المثقفين في التغيير المجتمعي هو ، في تقديري ، ثانوي ، وإن كان دورهم في تجلية الوعي جوهرياً . وعلينا أن نقوّم دور المثقفين العرب في حدود هذا التصوّر .

عن السلطة القائمة في البلدان العربية ، جاء في كلام د. غسان ان هناك من العوامل وما يجعلها « **وكأنها** غير قابلة للزوال » واعتقد ان الكلمة المحورية هنا هي : وكأنها . لأنه لا توجد سلطة غير قابلة للتغيير . إنما يبدو ان بعض المثقفين تصرّفوا وكأنّ السلطات مخلّدة ، مع ان هناك امثلة في التاريخ الحديث عن سلطات كانت تبدو وكأنها غير قابلة للتغيير ولكنها زالت بأشكال مختلفة ، وفي تصرفهم على هذا النحو ، اهدر المثقفون العرب مكوناً مهماً من دورهم المجتمعي .

النقطة الاخيرة هي عن الحريات والديموقراطية. أعتقد ان هذه ليست مسألة مطالبة كلامية فقط ، بل هي محور نضال ، ومن اجل الحرية والديموقراطية يجب ان يعتمد المثقفون دوراً جوهرياً في الكفاح . فالاكتفاء بالمطالبة قد يدغدغ الحواس ويريح ولكنه لا ينقلنا خطوة على الطريق نحو الديموقراطية.

● **خير الدين حسيب** : قبل الانتقال الى السؤال التالي ، يبدو ان د. فرجاني قد أجاب عن

التساؤل الذي قلته في البداية ، عندما قال ان دور المثقفين ثانوي في عملية التغيير . هل هناك اتفاق على هذا ؟

○ **قسطنطين زريق** : طبعاً من يلاحظ التغيرات التي تحدث في المجتمعات الحاضرة ، وخصوصاً المجتمعات المتخلفة ، يجد ان دور المثقفين هو فعلاً دور ثانوي . هذا اذا نظرنا اليه على المدى القريب ، بصورة خاصة ، اما اذا نظرنا الى الامر على المدى البعيد ـ كما اقترح د. الحص ـ فلا شك ـ في نظري ـ ان دور المثقفين يتقدم ويرتفع ولا يبقى ثانوياً . ذلك انه لا يجب ان نقلل من قيمة الفكر ومن قيمة التوعية التي تكلمنا عنها كثيراً في احداث التغيير المنشود . هذه التوعية التي لا تبدو ثمارها في سنوات قريبة ، هي التي ستُحدث في المستقبل التغيرات الصحيحة والثابتة ، ولا نريد التغيرات الفجائية التي قد تنقل المجتمع من حالة الى حالة ، ولكن الحالة الجديدة لا تأتي افضل من السابقة . إننا نبغي الانتقال من حالة مريضة سيئة الى حالة صحيحة جيدة . وهذا لا يمكن أن يحدث الاّ بفعل الفكر الصحيح ، ولذلك فمهمة المثقف الذي يطلب منه ان يحمل هذا الفكر هي مهمة اولية ، خصوصاً اذا نظرنا اليها على المدى البعيد .

وأقترح اذا شئتم تنظيم الحوار ، ان نحدد اولاً ما هي الصعاب التي تجابه المثقف العربي ؟ فالمثقف العربي في محنة ، ما هي الاسباب الخارجية للمحنة ؟ وما هي الاسباب الداخلية الخاصة بالمثقف العربي؟ نبدأ بالاسباب الخارجية وقد ذكرنا منها : الاوضاع العربية ، الفئات الحاكمة ، تغلب المشاكل على القضايا ، انعدام الحريات ، اضطرار المثقف العربي الى الاهتمام بالمشاكل اليومية ، في اجواء التضخم المادي والقيم الاستهلاكية . هذه كلها تضيِّق فاعلية المثقف ، وهذه يمكن ان نحصرها وان نسردها ، لكن بعد ان نسردها يبقى هناك سؤال آخر وهو : هل المثقف العربي ـ مع اخذ كل هذه العوامل الخارجية في الاعتبار ـ هو في محنة داخلية ذاتية ؟ وهل يقوم بمهمته ؟ وهل يتصدى للاحباطات التي ترهقه وترهق مجتمعه تصدياً صحيحاً ؟ هذا ما اعتقد انه يجب ان يأخذ جانباً من اهتمامنا ، بل على الاقل الجانب الرئيسي ، لأني ارجو ان يكون من هذا الحوار نداء او بداية نداء الى المثقفين العرب الذين يشكون دائماً من الصعاب التي تحيط بهم وقلّما ينتبهون الى احباطاتهم الذاتية وتصوراتهم الداخلية في سبيل تحسين عملهم وتعزيز اثرهم ، وتأدية رسالتهم على الوجه الأكمل .

○ **سليم الحص** : عبّر د. زريق خير تعبير عن الكثير مما كنت سأقوله ، ولكني اريد ان اضيف بعض الملاحظات . اذا كان المثقف العربي في محنة ذاتية داخلية ام لا ، فنحن نتمنى ان يكون في محنة داخلية ، يعاني من الوضع الذي هو فيه اليوم ، وإلا اذا كان مستكيناً لما هو عليه اليوم ، فنحن عندئذٍ في محنة حقيقية لا خلاص منها . واريد ان أتوسع قليلاً في نقطة اثارها د. زريق وهي : المدى القصير والمدى البعيد ، اعتقد ان مفاهيم كثيرة عندنا تتغير في المدى القصير ، وبالتالي يجب ان يكون هناك دور للمثقف العربي حتى في المدى القصير . د. زريق قال ان للمثقف العربي دوراً في المدى البعيد من حيث توضيح الرؤية والتوعية وما الى ذلك ، وهذا دور اساسي بالنسبة الى المثقف العربي . ولكن حتى في المدى القصير ، اعتقد ان هناك مفاهيم كثيرة تتغير سريعاً ، فإذا لم نتدارك الامر فقدناها الى غير رجعة . هناك مثلاً المفهوم المتعلق بالخطر الاسرائيلي ، إنه يتغير بسرعة كلية وجذرية عند العرب كلهم ، وعند المواطن العربي منذ الغزو الاسرائيلي للبنان . هناك نوع من رد الفعل او الانفعال تجاه الازمة التي مر بها لبنان .

وبالنسبة للاجتياح الاسرائيلي ، يتجسد في نوع من الكفر ـ إن صحّ التعبير ـ بالصورة ، وقد

اقترنت بالعرب وبالعروبة ، فهذه ظاهرة خطرة برزت في المرحلة الحاضرة ؛ فهل نتركها تتطور وتترسخ ؟ اين دور المثقف لتدارك هذا الوضع والحيلولة دون استمراره ؟ هناك ايضاً في المرحلة الحاضرة إثارة للانقسامات الطائفية والمذهبية في الوطن العربي اجمع ، وربما المقصود من هذا الامر تفتيت الوطن العربي الى دويلات طائفية ومذهبية ، فهل ندع هذه تمر وتتأصّل فنصبح اسرى لها في المدى الابعد ؟ هذا ما نشهده حالياً في لبنان ، وهو حاصل في كل البلاد العربية دون استثناء تقريباً متى كنا نسمع بالتمايز الطائفي كالذي يجري الحديث عنه في سوريا والعراق وفي مصر ، وفي كل الوطن العربي . هذا التمايز لم يكن يجري على لسان ، ولم يكن يتبادر الى ذهن في الماضي ، فإذا به اليوم هو المشكلة في الشرق الاوسط كله . فهل نترك هذا المفهوم يمر في المدى القصير؟ وما هي وظيفة المثقف العربي في تدارك هذا الانجراف ؟ انا اعتقد ان القضية الاساسية اليوم هي ان نبقى على قيد الحياة ، بالمعنى الوطني والقومي . يُروى عن كينغز قوله عندما سئل عن نظريته ، وقيل له ان نظريته هذه تنطبق على المدى القصير ولا تنطبق على المدى البعيد ، أجاب : « بالطبع لأننا في المدى البعيد سنكون كلنا في عالم الغيب » . فأنا لا اعتبر ان مهمة المثقف العربي ثانوية في المدى القصير ، فمهمته اساسية جداً ، في المدى القصير ايضاً وليس فقط في المدى البعيد . وإلا تغيرت كل مفاهيمنا وقضي على قضيتنا .

○ **نادر فرجاني** : بالنسبة الى دور المثقفين ، ما عنيته بالتحديد ان دور فئة المثقفين ، كفئة اجتماعية ، في عملية التغيير المجتمعي هو دور ثانوي . وكونه دوراً ثانوياً لا يعني بالضرورة استبعاد ان يكون حاسماً تحت شروط معينة . واستعمل تشبيهاً لتوضيح المقصود وهو شعلة النار الضئيلة التي تشعل فتيل اصبع الديناميت ، اذا توفرت الشعلة يمكن أن ينفجر اصبع الديناميت . ولكن ، في النهاية ، ما ينفجر هو اصبع الديناميت ذاته . اما لو كان الديناميت فاسداً فلن يفيد توفر الشعلة . كذلك يمكن أن ينفجر الديناميت وان لم تتوفر الشعلة اذا ارتفعت درجة الحرارة الخارجية بما يكفي . وتصوري ان دور المثقفين هو كدور هذه الشعلة التي **يمكن** ان تشعل فتيل اصبع الديناميت .والتشبيه مع الفارق طبعاً لأن التغيير المجتمعي ليس مجرد انفجار .

لكنني اقبل بتفرقة د . زريق بين دور المثقفين والفكر . وانا لا اعتقد ان دور الفكر ثانوي . ولكن ازعم ان الفكر ليس نتاجاً اجتماعياً لفئة المثقفين فقط ، وإنما الفكر نتاج اجتماعي لتفاعل فئة المثقفين مع القوى الاجتماعية الاوسع . وبهذا الشكل يكون الفكر نتاجاً مجتمعياً يتعدّى فئة المثقفين . وعندما تتفاعل فئة المثقفين مع مجتمعها تفاعلاً حياً ينتج فكراً قائداً ، ويكون لهذا الفكر ـ اذا تبنته قطاعات عريضة ومنظمة من الجماهير ، وليس لفئة المثقفين ذاتها ـ دور جوهري في عملية التغير .

○ **سليم الحص** : هل تقصد فيما هو الواقع او فيما يجب ان يكون بالنسبة للمثقف؟ فيما هو الواقع فإن دوره ثانوي ، وأمّا فيما يجب ان يكون فإن دوره كبير جداً .

● **خير الدين حسيب** : في اجابتنا عن السؤال السابق حول الاوضاع العربية الراهنة ، ومسؤولية المثقف في تردّي هذه الاوضاع ، سواء كانت مسؤولية المثقف العربي ايجابية ، اي انه يساهم ايجابياً في هذا التردّي ، ام سلبية بمعنى انه لم يساهم في ايقاف هذا التردي ولم يحل دونه ، نستطيع ان نستنتج ان هناك انحساراً عاماً في دور المثقف العربي في ضوء الاوضاع العربية الحالية ؛ كما اشرتم حضراتكم الى بعض مظاهر هذا الانحسار .

وقبل ان ننتقل الى الكلام عما يجب ان يقوم به المثقف العربي ، لا بد من أن نحاول تشخيص

الاسباب الداخلية والخارجية لانحسار دور المثقف العربي . فما هي الاسباب الذاتية التي تتعلق بالمثقف العربي نفسه؟ وما هي الاسباب الخارجية التي تجعل دور المثقف العربي سلبياً ؟ ونحن هنا نتكلم عن التيار العام الغالب بين المثقفين العرب مع التسليم بأن هناك استثناء او قلة من المثقفين العرب الذين ينطبق عليهم هذا التشخيص ، فعلى سبيل المثال يقال ضمن العوامل الذاتية الداخلية للمثقف العربي ، موضوع تغليب الخاص على العام بما في ذلك القيم الفردية ، والقيم الاستهلاكية التي انغمس فيها المثقف العربي .

العامل الآخر هو العلاقة بالسلطة ، والارتباط والتداعي امام السلطة . ثم عامل التغريب والارتباط بالغرب الرأسمالي سواء أكان فكراً او قِيَماً وسلوكاً . أمّا عن العوامل الخارجية التي تؤدي الى هذا الانحسار لدور المثقفين العرب فقد اشار د. الحص الى غياب الحريات والديموقراطية ، وقد تكون هناك عوامل خارجية اخرى تؤدي بالمثقف العربي الى ما هو عليه الآن . فأرجو ان تتفضلوا بالتحدث عن الاسباب الداخلية والخارجية التي ادت الى انحسار دور المثقف العربي تمهيداً للانتقال الى السؤال التالي وهو : كيف يمكن ، او ما يجب ان يقوم به المثقف العربي في المستقبل ؟

○ **قسطنطين زريق** : لقد ورد في المناقشات السابقة الكثير من الاسباب الخارجية التي يتعرض المثقف العربي لها في الوقت الحاضر . ويمكن أن ننظر الى المثقف من ناحيتين : من حيث انه جزء من المجتمع ، ومن ناحية ثانية من حيث كونه عامل تغيير في المجتمع . فالمثقف العربي ، إذا نظرنا اليه من الناحية الاولى ، نراه يتأثر بما يتأثر به غيره من مواطني البلاد العربية في الوقت الحاضر ، ويعاني من غياب الحريات والاحباطات الكثيرة : المعيشية وغيرها ، التي تحيط بالمواطنين جميعاً . انه يتأثر بالقيم الاستهلاكية الغربية ، وبالتسابق الى اقتناء الاشياء واكتساب المال والنفوذ . ولكن جوهر التساؤل الذي يجب ان يقلقنا هو : ما هي ردة فعل المثقف العربي ؟ إن ردة فعل المثقف العربي في الواقع ـ إتباعاً للتمييز الذي اراده د. الحص بين الواقع وبين ما يجب ان يكون ـ تبدو ضعيفة ومتراخية . ويغلب دوره التأثري على دوره التأثيري،واشارك د.سلامة قوله ان المثقف كان له في احيان كثيرة دور تأثيري مضر ومضلل ، اذ اصبح فعلاً عوناً للسلطات الحاكمة ، بدلاً من ان يكون ناقداً لها . انا أعتبر ان المحنة الداخلية الذاتية للمثقف العربي تدور حول نقطة اساسية هي : ان للثقافة معنى وقيماً خاصة ، فهل يتجسد هذا المعنى وهذه القيم في تفكير المثقف العربي ام لا؟انها اذا لم تتجسد،فهو يتخلى عن دوره الثقافي والتثقيفي.يمكن أن يدعى مثقفاً ولكنه لا يقوم بالدور الثقافي الحقيقي لأنه لا يمثل معاني الثقافة وقيمها . ان لكل مهنة مقاييسها وقيمها : نأخذ التاجر مثلاً، ما هي مقاييسه وما هي غاياته ؟ الربح السريع ! اذا كانت هذه المقاييس والغايات هي السائدة عند المثقفين ايضاً ، فمعنى ذلك انه ليس اميناً لجوهر مهمته ومطالبها ، وليس بالتالي خليقاً بالنضال الضروري لتحقيق القيم الثقافية ، وليس قادراً عليه . إذاً المثقف امام اختيارين ، إمّا ان يخضع للمؤثرات الخارجية التي تضعفه ، وتحدُّ من فاعليته وإمّا أن يقاوم . وارجو ان نتداول في كيفية المقاومة هذه ، مقاومة هذه المؤثرات السلبية وسلوك السبيل القويم الذي تفرضه المهمة الثقافية ، والذي به يتميز المثقف فعلاً ، لا اسماً ، عن سواه .

○ **سليم الحص** : ليس عندي الكثير لأضيفه الى ما ادلى به د. زريق ود. حسيب وإنما اعود الى كلمة وردت على لسان د. فرجاني عندما قال فلنبحث في المثقفين كفئة اجتماعية . نحن عرضة للانجرار الى الحديث عنهم كمجموعة افراد ، المثقف كفرد . ونطبق ما يصح على الفرد ليصبح قاعدة للجماعة . ولكن هذه الفكرة : ـ المثقفون كفئة اجتماعية ـ تطرح سؤالاً اساسياً وهو ما الذي يميز المثقف العربي

كفئة اجتماعية؟ هل هناك مؤسسة اسمها مؤسسة المثقف العربي ؟ هل هناك بند اسمه بند المثقف العربي؟هل هناك كيان اسمه كيان المثقف العربي؟حتى نستطيع ان نتحدث عن فئة المثقفين.اذا وجد ذلك ربما كان لنا ان نحاسب المثقف العربي عمّا فعل اولم يفعل . انا اظن ان هذا يعيد الى الاذهان فكرة سبق طرحها ، وهي غياب الحريات والديموقراطية في البلدان العربية اجمع . لو وجدت الحرية والديموقراطية لكان صوت المثقف العربي مدوياً . وكان دوره هو الفاعل ، لكن من ناحية اخرى يمكن القول انه لو وجدت الحرية والديموقراطية لكان الدور الذي نطلبه من المثقف اقل من دوره في الوقت الحاضر حتى في ظل غياب الحريات والديموقراطية ؛ إلّا ان هذا لا يعفي المثقف من دوره في الوقت الحاضر حتى في ظل غياب الحريات والديموقراطية ، لا بل إن هذا الغياب يُحمله المزيد من التبعات . ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو كيف نطلب ذلك من المثقف كفرد . فالمثقف يكون دوره فاعلاً وكبيراً عندما يكون في مجموعة ومجموعة منظّمة ، فأين المنبر ؟ اين الكيان؟ اين المؤسسة؟ اظن هذا النقص هو الذي غيَّب المثقف العربي . اما عن الاسباب التي ادت الى هذا الانحدار ، فأنا موافق على الاسباب التي ذكرت .

○ **نادر فرجاني** : في تشخيص الاسباب ، اعتقد انه من الصعوبة بمكان الفصل بين الذاتي والعام ، كما أشار د. زريق . لكن اذا كان هناك عامل اساس في تلك التي ذكرها د. حسيب ، فعندي انه الارتباط بالغرب الرأسمالي ، اذ انه ينعكس عضوياً من العاملين : الاول والثاني المتعلقين بتغليب الرفاه الخاص على العام والارتباط بالسلطة او التداعي امامها . والسبب في هذا هو ان الارتباط بالغرب الرأسمالي يكوّن متصلاً يبدأ من الفكر ، مروراً بالقيم ، وينتهي بانماط السلوك ، ويحدد الدور المجتمعي للفرد .

فالدور المجتمعي للفرد في اطار هيمنة النظام الرأسمالي ، وان كان مشوَّهاً ، هو دور تنافسي فردي يسعى لتعظيم الرفاه الخاص ، مما يستدعي تغليب الرفاه الخاص على العام في مجتمعات كثيراً ما يقوم فيها التناقض بين هذين المستهدفين.

كذلك ، يكاد الارتباط بالغرب الرأسمالي ، فكراً وقيماً وسلوكاً ؛ ان يجعل من المثقف العربي مستشرقاً ، مما يضع حاجزاً أساسياً بينه وبين الجماهير العربية . ويؤدي عدم ارتباط المثقف العربي بالجماهير ، فكراً وسلوكاً وتطلعات مستقبلية ، الى الموقف الضعيف امام السلطة . فالاساس الوحيد الذي يمكن أن يقوم عليه موقف قوي للمثقف تجاه السلطة هو الارتباط بالجماهير . ولهذا الارتباط مستويات متباينة القوة ، اضعفها التوحد الفكري مع مصالح الجماهير الواسعة .

لكل هذا ارى ان ارتباط المثقفين العرب بالغرب، فكراً وقيماً وسلوكاً ، هو احدى النقاط الاساسية التي يجب التركيز عليها في تحديد اسباب انحسار دور المثقفين العرب . وميزة هذا التركيز انه يقدم لنا موطىء قدم في دعوة المثقفين الى نوع من « الجهاد الاكبر » للتحرر من سطوة الغرب الرأسمالي سعياً لزيادة فعاليتهم في العمل نحو التقدم والوحدة والتحرر .

وفي مناقشة انحسار دور المثقفين ، ارى انه يجب التفرقة ، سواء من حيث توصيف الدور الحالي او التطلع المستقبلي ، بين شرائح مختلفة داخل فئة المثقفين لها ادوار متباينة في اي مرحلة من مراحل التطور الاجتماعي . هناك شريحة من المثقفين ستعمل باخلاص وتفانٍ لمصلحة المشروع القومي للتنمية على محاور الانماء والوحدة والتحرر ، وهذه شريحة الطليعة . ولكن يجب الا ننسى انه هناك شريحة اخرى ستكون محايدة ، كما ان هناك شريحة ثالثة ستكون ضد هذا المشروع . واذا عنينا بانحسار دور

المثقفين في مرحلة ما قلة اسهامهم في انضاج المشروع القومي للتنمية ، فقد يعني هذا تزايد دور الشريحتين: الثانية والثالثة من فئة المثقفين .

وبالنسبة لمظاهر الانحسار ، هناك جانب اود الاشارة اليه لاننا لم نتطرق اليه حتى الآن . هناك تدنٍ في المستوى الفكري والعلمي والمهني لفئة المثقفين في الوطن العربي . ويمكن هنا الدخول في تفاصيل كثيرة ، ولكن اذا كان احد الادوار الاساسية للمثقفين هو انتاج المعرفة الصحيحة ، فقد اصبحت فئة المثقفين العرب - في تقديري - قاصرة عن الاضافة العلمية الجادة في دراسة مجتمعاتها . وهناك مظاهر متعددة لهذا ، مثل قلة الاجادة في العمل العلمي ، والتنكب عن التدريب الكفء للاجيال التالية .. الخ . اي ان ازمة المثقفين لا تقف فقط عند التخلي عن الدور الاجتماعي الملتزم بالتنمية والوحدة والتحرر ، وانما تصل الى تخلف الانجاز المهني والعلمي بالمعنى الضيق .

○ **غسان سلامة** : أود أن اعالج بسرعة ثلاث نقاط وردت في الحديث الذي سبق . الاولى لها علاقة بالاسباب ، واعتقد اننا تكلمنا ما فيه الكفاية عن الاسباب الخارجية ، فقط سأضيف الى ذلك ان اسباب انحسار دور المثقف العربي ومظاهره مرتبطة إجمالاً بانحسار وجود المجتمع المدني العربي الراهن على حساب المجتمع الذي تفرضه السلطات القائمة ، وهناك المجتمع المدني بشكل عام بما فيه المؤسسات الاقتصادية الخاصة والفكر النقدي الخاص ، والمؤسسات الجامعية والاكاديمية والبحثية ... والخ . كل هذه تمت عملية استقطاب لها في العشرين او الثلاثين سنة الماضية بحيث انها نفذت جزءاً كبيراً من وظيفتها الاجتماعية.واعتقد في هذا المجال بما يخص المثقفين ان الاسباب العمومية وهي اعتبار وجود المجتمع المدني ككل اهم من الاسباب الخاصة بالمثقفين.لقد تم استقطاب كامل المجتمع بكل ما فيه من مؤسسات دينية وثقافية على المستوى الفردي والجماعي لمصلحة فئة متسلطة وهذا اثّر على المثقفين ، كما اثّر على غيرهم ، ونرى ذلك مثلاً في علم الاجتماع ، الجيوش حيث ان الكفاءة العسكرية تأثرت بتكاثر استعمال الجيوش خارج مهنها الاساسية ، فأثر ذلك على انعدام القدرة في مواجهة الاخطار العسكرية الخارجية ، ونرى ذلك ايضاً تجاه المثقفين ، اي ان هناك ضرباً للوظائف الاساسية في المجتمع لمصلحة وظائف مستحدثة تخدم السلطة ، وهذا يساهم الى حد كبير في اضعاف القدرة العربية : العسكرية والثقافية والفكرية ... الخ .

النقطة الثانية تتعلق بالتغريب وانا لا اوافق على جزء مما قاله د. فرجاني . انا اعتقد ان توصيف الوضع الراهن قد يختلف من بلد عربي الى آخر من حيث اهمية الاخطار ، وهذا لا يعني انه ليس هناك تواصل بين العرب . هناك ظروف تاريخية نمر فيها وقد تختلف او تتفاوت في خطورتها من مكان الى آخر . اعتقد ، من خلال معرفتي الضئيلة بالمجتمع المصري لما بعد سنة ١٩٧٠ ان ما ذكره د. فرجاني عن خطورة الاتصال بالغرب كما تم في مصر في مرحلة سنة ١٩٧٠ فما بعد، هو عنصر اساسي وخطير بما يخص تدهور موقع المثقف المصري . واعتقد انه محق في هذا . انما اتساءل هل يمكن تعميم هذه الظاهرة على مختلف البلدان العربية ؟ واود ان اضيف في هذا المجال ما يلي : اعتقد ان محصلة علاقة المثقف العربي بالغرب بشكل عام (وهناك كتب لحسن الحظ في هذا المجال مثل كتاب البرت حوراني ، او كتاب هشام شرابي ، او كتاب هشام جعيط ... الخ . هناك كتب ولكن التفكير ما زال شرعياً في هذا المجال) هي محصلة ايجابية . بمعنى ان التحدي الذي حمله الاستعمار في القرن الماضي ، ثم العلاقة غير المتكافئة في المرحلة الحالية ادّيا في الاجمال الى استنهاض الهمم ، ونرى ردود فعل ايجابية للغاية ، فعند الافغاني والطهطاوي نرى علاقات استحثاث الهمم بعد بدء العلاقة بالغرب . ونرى ذلك ايضاً في الثلاثينات والاربعينات من هذا القرن،ونرى محاولة تطويع عدد من الافكار ، ومنها

الفكرة القومية، تطويع عدد من الافكار التي برزت في الغرب بشكل ايجابي ، كما نرى ان التربية والتعليم اللذين جاء بهما الغرب في الاجمال رغم المحاذير الهائلة والنتائج المسخ في عدد من الاحيان لهذا التعليم ، كان لهما دور كبير ، لذلك انا لا اماشيك في قولك ان مسألة العلاقة بالغرب الرأسمالي في المرحلة الحالية ، هي العنصر الاساسي على الاقل ، واعتقد ان ما تشير اليه صحيح بالنسبة الى موقع ظرفي والى حد ما جغرافي محدود .

اما النقطة الثالثة التي اود التركيز عليها هي ما اشار اليه د.زريق من ان هناك ايضاً اسباباً داخلية لم نتحدث عنها بشكل واف . واسمحوا لي ان اقول - برأيي - إن هذه الاسباب الداخلية اود تفريعها الى **اربع نقاط** ، النقطة الاولى ، تتعلق بالقطيعة مع سلم القيم القائم في المجتمع . هذا ما اشار اليه د. زريق وانا فقط اعيد صياغته . فمثلاً في مجتمعات النفط الراهنة او حتى في المجتمع اللبناني سلم القيم هو سلم القيم التجاري المركنتيلي الذي يطغى مثلاً على السياسة . تمارس السياسة وكأنها شبه مهنة تجارية .وايضاً يمارس التعليم ،والكتابة،والتفكير بالاجمال على انها مهن تجارية.في مجتمعات عربية اخرى ان سلم القيم المهيمن هو سلم بيروقراطي ... الخ . اذاً اعتقد ان سبباً أساسياً داخلياً هو في غياب المثقف او في عدم حصول هذه القطيعة بين المثقف كفرد او كمجموعة افراد وبين سلم القيم المهيمن، النقطة الثانية هي في انعدام الصدق لدى المثقف . اعتقد ان هذه النقطة جوهرية . واود فقط ان اشير الى تكاثف الكتابات لدى عدد من المفكرين العرب ، وهي ظاهرة خطيرة في رأيي ، حيث نراه يكتب لمجتمعه المحلي في بلد معين ، وللمجلات والصحف العربية الاجمالية ، وللمجتمع الخارجي بالانكليزية او الفرنسية كتابات مختلفة وآراء مختلفة عن الموضوع نفسه ، بل مفردات مختلفة في الموضوع نفسه . وهذا صورة عن عدم الصدق الذي نشهده اكثر فأكثر ؛ النقطة الثالثة هي انعدام الشجاعة . اعتقد ان المثقف العربي - وهذه ليست صفة خاصة به - لديه انعدام شجاعة . وسأعطي مثالاً واحداً على ذلك وهو ما اسميه انعدام التسمية ، إذ يتحدث المثقف العربي أكثر فأكثر عن ظواهر حسية يعيشها المثقف دون ان يتجرّأ على تسميتها . وأعتقد ان احد المقاييس العملية في المرحلة المقبلة للمثقف هو ان يتجرّأ على تسمية الامور والسلطات والبلدان والاشخاص وهذا له علاقة بدوره الفدائي الذي قد نتحدث عنه لاحقاً . والنقطة الرابعة اقتبسها بالحقيقة من كتابات سيغموند فرويد الجميلة ، وهي عن موضوع الرقابة ، يقول فرويد : ان رقابة تمارس لفترة ما على فرد تتحول مع الوقت الى رقابة ذاتية ، تنتفي الحاجة معها بعد مرور فترة من الزمن الى الرقيب الخارجي لأن استيعاب النفس البشرية لهذه الرقابة يصبح كاملاً . وأعتقد ان احدى المشاكل الاساسية التي يواجهها المثقف العربي ، هي ان يعمل وقد تحولت الرقابة الخارجية عليه الى رقابة ثابتة ، رقابة داخلية على نفسه كما جاء في شعر ابن الرومي حول الذي صفع مرة فاصبح منحنياً باستمرار خوفاً من صفعة ثانية يتوقعها(*) .

○ **نادر فرجاني** : في مناقشة اسباب انحسار دور المثقف العربي يمكن ان ننحوَ منحىً مفيداً ، وهو عدم التوقف عند الاسباب ذات القدرة التفسيرية فقط ، وانما تجاوزها الى مداخل لزيادة فعّالية المثقف العربي . على سبيل المثال ، ضعف دور المجتمع المدني في البلدان العربية تفسير جيد . لكنه ، في

(*) الابيات المقصودة هي :

قصرت أخادعه وغار قذاله ... فكأنّه متربّص ان يُصفعا
وكأنما صُفعت قفاه مرة ... فأحسّ ثانيةً لها فتجمّعا

حد ذاته ، لا يساعدنا في وضع اصابعنا على امكانية التغيير . لأن المثقفين ، في تقديري ، سيواجهون استمرار ضعف المجتمع المدني في البلدان العربية لفترة لن تكون بالقصيرة . فماذا يكون العمل اذاً ؟ ان الاقتصار على مثل هذه التفسيرات لا يضع المثقفين امام مسؤوليتهم في التغيير ، بل يمكن أن يوفر مبرراً لمن يبحث عنه . المطلوب هو استكمال هذه التفسيرات بالدعوة لقيام المثقفين بدور فاعل في استخلاص السلطة المدنية من براثن القهر الحالي ، وهذا يقتضي كفاحاً ضد السلطات القائمة .

وأود ان اؤكد خلافي مع د. غسان سلامة ، وهذا في نظري شيء جيد ، وهو ربما من الخصائص التي تفتقدها فئة المثقفين العرب ، اعني امكانية الاختلاف فكرياً مع البقاء على وفاق شخصي . اعتقد ان علاقة فئة المثقفين بالغرب هي نوع من الارتباط العضوي ، ومثل هذا الارتباط غير قائم بين عامة الناس والغرب الرأسمالي . ولهذا فإن تأثير الغرب على فئة المثقفين اقوى من تأثيره على المجتمعات العربية ككل . ان صلة المثقفين العرب بالغرب تكاد تشبه الحبل السري . وهذه قضية في غاية الاهمية وتجعل تأثر المثقفين في الوطن العربي بالغرب يختلف نوعياً عما كان من قبل .

على سبيل المثال ، ما جاء به د. سلامة من استنهاض الهمم استجابة للتحدي الغربي في بداية عصر الاستعمار ، كان راجعاً ، في تقديري ، الى ان مثقفي ذلك الوقت لم يكونوا مرتبطين ، ارتباط الحبل السري ، بالغرب ، بل كانت اقدامهم راسخة في اصالة حضارة مجتمعاتهم العربية .

واتذكر تعبيراً نافذاً في هذا المجال . ففي معرض التساؤل عن كيف يمكن لقيادات فكرية مرتبطة ارتباطاً عضوياً بالغرب الرأسمالي ان تقود بلدان العالم الثالث في نضالها من اجل التحرر من هيمنة الغرب ، واستعمل التشبيه التالي : كيف يمكن لفصيل من صغار الذئاب التي ترتدي فراء حملان ان تقود الحملان ضد الذئب ؟

● **خير الدين حسيب** : نصل بهذا الى السؤال التالي : ناقشنا انحسار دور المثقفين العرب ومدى مسؤوليتهم عن الاوضاع العربية المتردية . والسؤال الذي يطرح نفسه ؛ ما هو الدور المطلوب من المثقفين العرب؟ ماذا نريد من المثقف العربي ؟ ما هي الشروط اللازمة حتى يؤدي المثقف العربي هذا الدور ؟ وفي معرض الاجابة عن هذا السؤال ، قد يكون من المفيد ان نحدد ما إذا كنا نتكلم عن المثقفين العرب عموماً ام اننا نتكلم عن طليعة المثقفين ؟ كذلك ارجو اثناء الاجابة ان نتعرف لما يجب ان يكون عليه موقف المثقف العربي من السلطة ؟ لقد اشرتم الى هذا الموضوع ولكنه لم يتوضح حتى الآن ما يجب ان يكون عليه موقف المثقف العربي منها . وان تشيروا الى اية امور اخرى ترون ان على المثقف العربي ان يتصدى لها في المرحلة الحالية وفي المستقبل القريب .

○ **قسطنطين زريق** : اجابتي عن هذا السؤال ، اؤثر ان احصرها بشريحة من شرائح المثقفين العرب ، وهي شريحة مهمة جداً ، لأنها هي التي يفترض فيها أن تكون احدى طلائع المجتمع وأن تولد غيرها من الطلائع . واستخلص من ذلك بعض النتائج المتعلقة بالمثقفين عموماً . لقد قيل في هذا الحوار ان الاوضاع العربية الراهنة قد سلبت من المؤسسات الاجتماعية الراهنة كثيراً من سلطاتها الاساسية ، وحوَّلتها الى اغراض اخرى . انا اريد ان احصر كلامي في مؤسسة واحدة فقط ، وهي المؤسسة الجامعية . فالجامعة هي التي يفترض بها ان تزود المجتمع بفريق كبير من المثقفين وطلائعهم . انا متفق مع د. الحص بأن المثقفين لا ينحصرون ضمن الاسوار الجامعية ، وأن هناك مثقفين كثيرين خارج هذه الاسوار ؛ لكن اذا نظرنا الى دور الجامعة التاريخي في الدول المتقدمة ، وجدنا انه كان دوراً رائداً وفاعلاً في **النهضات** المختلفة التي قامت في بلدانها . واليوم يوجد في الوطن

العربي اكثر من خمسين جامعة ، وكل من يدرس شؤون هذه الجامعة يرى انها هي ايضاً في محنة ، لاسباب خارجية ذكرنا كثيراً منها ، ولاسباب داخلية . لا اريد ان اعيد الكلام عن الاسباب المتعلقة بالجامعيين ونوعيتهم . هل هذه النوعية ترتفع ام تتدنى من حيث كونهم اداة للتغيير المطلوب؟ لا شك ان هناك نواحي ايجابية عديدة في العمل الجامعي العربي منها : اتساع التعليم الجامعي وتفرعه وتيسيره لابناء الطبقات المحرومة ؛ والابحاث العلمية في بعض الجامعات . وعلى العموم اعتقد ان الاهتمام الكمي قد غلب على الاهتمام الكيفي ، وان ثمة عوامل اخرى تعمل باتجاه تدني عمل الجامعات . ما هي وظيفة الجامعي كمثقف وكمولِّد للثقافة . اعتقد ان له وظيفتين : الوظيفة الاولى هي حماية الجامعة او المشاركة في حمايتها من تدخل السلطات وغيره من المؤثرات السلبية . ومعنى هذا ان يكون المثقف مناضلاً ، لامفكراً فحسب ، وهذا النضال قد يذهب به الى السجن او الى النفي، او الى التشريد ، او الى غير ذلك . فهل ناضل الجامعيون العرب نضالاً كافياً في سبيل صيانة هذا المعبد الفكري وكرامته ؛ ولكن هذا النضال الخارجي ليس كافياً وانما يجب ان يكون مدعوماً بنضال داخلي . بمعنى ان الجامعي يجب ان يتميز عن غيره من المواطنين بنوع القيم التي يسعى اليها ، ويتميز بها ، ونوع السلوك المفروض عليه . وهذا ليس من قبيل التعالي على غيره من المواطنين ، وانما بسبب المسؤولية التي يتحملها والتي تفرضها المهمة الجامعية . ولما كان المثقف في طليعة المطالبين بالحرية : الحرية الجامعية والوطنية ، فحري به ان يكون اول المتحلِّين بحس المسؤولية ، إذ لا حرية صحيحة من دون مسؤولية .

○ **سليم الحص** : اعتقد ان تركيز د. زريق على الجامعة في محلِّه ، وله معنى مهم وهو التركيز على تكوين المثقف . الجامعة مصنع اساسي ومهم جداً من مصانع المثقفين في الوطن العربي ، وبالطبع ليست الجامعة المصنع الوحيد ولكنها المصنع الاساسي وربما الاهم . واذا كانت طبيعة الدور الذي يقوم به المثقف العربي ترتبط بعوامل ذاتية وعوامل خارجية متغيرة فإنها ايضاً تتوقف الى حد ما على تكوين المثقف ، وتلعب الجامعة دوراً أساسياً في عملية التكوين ، وبالتالي فالتركيز على الجامعة يجب ان ينال قسطه من البحث الوافي . ولكن يجب ان نذكر ان المثقف العربي ليس نتاجاً للجامعات العربية ، اي الجامعات الكائنة على الارض العربية فقط ؛ فكثير من المثقفين يتوجهون الى الخارج للتحصيل العالي ، في جامعات امريكا وانكلترا وفرنسا وغيرها . فهذه ظاهرة لا بد من طرحها عندما نركز على الجامعة كمصنع للمثقفين العرب .

مع التسليم بوجاهة هذا الرأي الذي أبداه د. زريق في قوله : ان الجامعة يجب ان تنال الحظ الاوفر من الاهتمام ، فربما كان هناك مؤسسة اخرى يجب ان تنال الاهتمام الموازي وهي جامعة الدول العربية ، باعتبارها المؤسسة الوحيدة التي تجمع بين العرب في الوقت الحاضر .

وحديثنا عن المثقف العربي لا معنى له الا اذا كانت هناك رابطة بين المثقفين العرب . ما الذي يجمع بين المثقفين العرب؟ اليس هناك من دور يمكن أن تقوم به جامعة الدول العربية ، او يجب ان تقوم به على صعيد الافادة من طاقات المثقفين العرب والاسهام بتنمية اسباب التفاعل والتبادل بينهم ؟ نقول هذا مع علمنا بالعوامل التي تكبِّل الجامعة من حيث هي مؤسسة تجمع بين دول تكمن العلة اساساً في انظمتها. ولكن يمكن أن يقال الشيء ذاته عن معاهد التعليم العالي التي تخص الدولة ، واكثرها هي كذلك في الوطن العربي . اعتقد ان اي حديث عن دور المثقف العربي لا بد من ان يتركَّز على هاتين المؤسستين ودورهما في المستقبل : الجامعة التي تنتج المثقفين او الكثير منهم،وجامعة الدول العربية التي تجمع بين العرب اليوم بصرف النظر عن رأينا في فاعليتها في الجمع بينهم ماضيا وحاضرا .

○ **نادر فرجاني** : أشار د. زريق الى عاملين يتصلان بمستهدف جوهري ، في تقديري ، وهو نقل المثقفين من مجموعة افراد الى فئة اجتماعية فاعلة : حماية مؤسساتهم ورفع مستواها . هذه المؤسسات هي التي تربط بين المثقفين وتحولهم الى كائن اجتماعي فاعل اكثر من مجموعة افراد ذوي خصائص معينة . وأود فقط ان اضيف الى هذا ان هناك ايضاً حاجة الى انشاء مؤسسات جديدة ترتبط بدور طليعة المثقفين . ومن هنا ارى ان المؤسسات القائمة غير كافية .

واضافة الى حماية وتطوير مؤسسات المثقفين، فأعتقد ان هناك مهاماً ثلاثاً مطروحة على المثقفين العرب ، وفيما يلي اقدم بعض التفصيل على ما اتى به د. زريق قبلاً في هذا الصدد .

اولاً ، هناك انتاج المعرفة . ويقتضي هذا من فئة المثقفين البحث المعمق والملتزم بقضية التقدم والوحدة والتحرر في مجالات محددة ذات اهمية حرجة لفهم الاوضاع الاجتماعية ـ الاقتصادية والسياسية في الوطن العربي . على سبيل المثال ، ازعم ان الوطن العربي قد مرّ في العشر سنوات الاخيرة بعاصفة من التغيرات التي لم تدرس بالدرجة الكافية . وربما لا يتوفر لدى فئة المثقفين العرب التوافر اللازم لدراسة هذه الامور ، رغم ان دراسة هذه الحقبة هي على قدر عظيم من الاهمية خاصة فيما يتعلق بتطوير وعي الاجيال القادمة في الحركات الوطنية العربية .

وهناك ، ثانياً ، الرؤية الصافية ، وهي الهادي الى الطريق . ويتطلب التوصل لهذه الرؤية التصدي لكثير من الاشكاليات الفكرية المطروحة حالياً في مجال تصميم مشروع تنموي عربي . مطروح مثلاً العلاقة بين المشروع التنموي القومي وبين التراث في اطار التواصل مع الجماهير . وهناك ايضاً قضايا مطروحة تتعلق بشكل المشاركة الجماهيرية التي يتوقع ان تضيف ، إيجابياً ، الى هذا المشروع في الوطن العربي . ومن خلال التصدي لمثل هذه الاشكاليات تتكون محاولات خلق طريق ، يعتمد رؤية صافية ، الى المشروع الانمائي الوحدوي التحرري .

المهمة الثالثة ، وقد اشرنا اليها قبلاً ، هي ان يعمل المثقفون ، كأفراد وكفئة اجتماعية ، على نشر الوعي بنتائج البحث والعمل الفكري ، اي بالمعرفة وبالرؤية الصافية ، باساليب فعّالة تصل الى قطاعات واسعة من الشعب العربي . ان مجرد النشر المهني او حتى النشر في مجالات المثقفين ، اصبح غير كافٍ كوسيلة لتغذية الوعي الشعبي وانضاجه .

وقد أثار د. حسيب الموقف من السلطة . وفي تقديري ان اخذ موقف جاد من النقاط الاربع السابقة هو ، بحد ذاته ، موقف من السلطة . فإذا تم البحث العلمي الجاد المتسم بالشجاعة ، كما اشار د. غسان ، واذا قام العمل الفكري بالتعرض للاشكاليات المطروحة بجسارة وصدق ، واذا نشط المثقفون في نشر الوعي بأساليب فعّالة تصل لقطاعات واسعة من الشعب العربي ، فإن هذه الامور تشكل موقفاً حاسماً للمثقفين من السلطة الرسمية .

وهنا نأتي لنقطة جوهرية اشار اليها د. زريق فيما يتعلق بالنضال . اعتقد ان الموقف الملتزم بقضية التقدم والوحدة والتحرر ، بالشكل الذي اشرنا اليه ، هو في الواقع عمل ضد كل القوى المهيمنة سواء قطرياً ام عربياً ام عالمياً . وبالتالي فهو استعداء صريح لهذه القوى . وعليه فلا بد من ان يكون المثقفون على استعداد للتضحية ومواجهة عاقبة هذا العمل المعارض .

ولا بد من العمل لبلورة طليعة المثقفين العرب ، وهذا يتطلب عملاً ملتزماً من افراد ومن مؤسسات يمكن أن تؤدي لنشوء مؤسسات طليعة المثقفين . وكما اشار د. زريق ود. غسان سلامة ، فإن هذه

الطليعة يجب ان تتسم بالفدائية ، وعليها ان تتبنى اسلوب الاقتحام الموجه والمتميز للمساهمة الفكرية العربية . اعتقد ان الصيغ المميعة التي لا تتخذ موقفاً محدداً ، ولا تشكل رأس حربة للعمل الفكري الملتزم بقضية التقدم والوحدة والتحرر ، لا تخدم ، في النهاية ، غرضاً أساسياً . ان دور طليعة المثقفين هو ان تشكل رأس رمح للعمل الفكري الملتزم .

وانتهي بالقول ان طليعة المثقفين ليست ، في نظري ، مفهوماً نخبوياً ، ولا يجب ان تكون هذه الشريحة الاجتماعية استعلائية بأي شكل فلن تستطيع طليعة المثقفين ان تقوم بدورها التاريخي بكفاءة الا بتفاعل جدلي قوي مع محيطات مختلفة . المحيط الاول هو فئة المثقفين الواسعة ، والتي يمكن اجتذاب عناصر منها للعمل مع طليعة المثقفين . وبقدر ما تقدم طليعة المثقفين من معرفة اصح ، ورؤية اصفى ، واسس وعي انضج . وهناك ايضاً المحيط الاوسع ، والاهم في تقديري الا وهو محيط الجماهير كلها ، وهذا هو ميدان الجهاد الاول .

○ **قسطنطين زريق** : احب ان ابرز نقطة فيما يتعلق بالوظيفة الجامعية وهي نقطة قد تُحدث في الوقت الحاضر خللاً بين المثقفين الجامعيين وبين الجماهير ، إداء المثقفين لوظيفتهم في تصفية رؤية عامة للقضايا القومية . هذه النقطة هي ان الجامعة القائمة في البلاد العربية في الوقت الحاضر ، وقد يكون ذلك لشدة تأثرها بالنظم العربية كما أسلف د. فرجاني ، تأخذ معياراً لتعيين الاساتذة وترقيتهم الابحاث الاختصاصية الصرف : النظرية منها او التطبيقية . لذلك يكاد الجامعيون يهملون وظائفهم التعليمية ودراساتهم او منشوراتهم العامة من اجل الاختصاص الضيق ، هذا له فائدة طبعاً في رفع المستوى العلمي نحو المستويات العالمية ، ولكنه يخلق هوة بين الاستاذ الجامعي وبين المجتمع . إن الكتب العامة التي يقصد بها التوعية ، لا تعتبر ، او ليس لها اعتبارها الكافي في تقويم انتاج الاستاذ الجامعي او ترقيته . إن هذا امر يجب ان يستدعي اهتمام المسؤولين كي يكون لهذه الجامعات وللمنتمين اليها دورهم التوجيهي ـ التوعوي الى جانب دورهم العلمي الاختصاصي الذي يجب ان يظل ايضاً محتفظاً بحظه من العناية والرعاية .

○ **غسان سلامة** : نطرح الآن مسألة موقف المثقف من السلطة ، وهذه تطرح في الاساس مسألة بدائية هي مسألة من هو المخاطب الاساسي للمثقف . المثقف وظيفته الاساسية هي المخاطبة ، التكلم ، طرح الاسئلة . واعتقد ان المسألة الاساسية هي لمن يتوجه المثقف بخطابه ؟ من هو مخاطب المثقف؟ وتندرج مسألة الموقف من السلطة بالتحديد ، ضمن هذا السؤال الاساسي هل السلطة هي المخاطب الاساسي للمثقف ام ان الناس هم المخاطبون الاساسيون ؟ ميكافيللي يمثل شكل المثقف الذي مخاطبه الاساسي هو « الامير » ، ولدى عدد هائل من المثقفين العرب الراهنين طموح بأن يصبحوا ميكافيللي الامير ، او أن يصبحوا المتكلمين الاساسيين للامير . انا اعتقد ان اول واعمق وافضل موقف من السلطة لدى المثقف العربي اليوم ، هو أن يدير لها قفاه ، يعني ان لا يعتبرها بأي شكل من الاشكال . مخاطبه لا الاول ولا الثاني ولا الثالث . إن مخاطبه هو الناس وليس السلطة ، يجب على المثقفين بالفعل ان يه موا قطيعة مع رغباتهم بالتسلق ضمن بلاط الامير ، واعني بالامير طبعاً الحاكم إجمالاً . فإذا كان هذا صحيحاً فالمهام اراها اربعاً ؛ المهمة الاولى : هي انه على المثقفين اكثر من اي فئة اجتماعية اخرى تطوير الروح التقدمية في المجتمع . يجب ان يكونوا في طليعة من لا يقبل ، من يدرس ثم يصل الى نتائج نقدية عميقة تجاه الظواهر الاقتصادية والاجتماعية والتنموية والسياسية والعسكرية والحضارية . هذه هي المهمة الاساسية الاولى للمثقف ، ان يتصرف كانسان حر يخاطب انساناً حراً آخر ، وبشراً

احراراً ، وللأسف نرى في المرحلة الحالية ان هذه المهمة لا يقام بها ، إذ نرى المثقف يخاطب عامة الناس وكأنه مقيد ، وعامة الناس يرسفون بقيود لا خروج منها ؛ والمهمة الثانية الموكولة للمثقفين ان يكونوا في مجالهم القدوة والمثال ، هذه المسألة ضرورية ، إذ يجب ان يكون المثقف في طليعة المنمِّين للروح الاخلاقية والمسلكية ؛ والنقطة الثالثة قد تحدث عنها د. زريق ، واضيف : هي ضرورة انشاء وحماية استقلالية المؤسسات الثقافية ، وعلى رأسها الجامعات ، والمؤسسات الفكرية والصحافية ، وما شابه ازاء تعديات السلطات القائمة .

اما النقطة الرابعة ، وهي ـ ربما ـ الاصعب تحديداً ومنالاً، وهي ما يمكن تسميته بضرورة احياء الوظيفة التنبؤية الاستشرافية للمثقف ، يجب على المثقف ان يكون مستنهضاً للهمم ، بمعنى ان يكون دوره مستمراً في اظهار الامور الراهنة وكأنها امور ظرفية عابرة ، وأن يكون لديه القدرة على قدر من النبؤة ، بمعنى قدر من إعمال الخيال لتصور ظروف اخرى وهذا ما ينقص عامة الناس الذين هم منخرطون في مشاكل ، ولأن القضية كما ذكر د. الحص ، ونرى ان هذه الوظيفة التنبؤية والاستشرافية قد تكون نادرة الى اقصى الحدود في ظرفنا الراهن ، بينما نرى لها نمواً هائلاً في مطلع هذا القرن مثلاً لدى المثقفين العرب ، ونرى انحداراً شنيعاً في هذه الوظيفة التنبؤية لدى المثقفين .

● **خير الدين حسيب** : التساؤل او السؤال الاخير في ضوء إجابة د. فرجاني عن السؤال السابق ، فقد طلبنا من المثقف ان يكون طليعياً وفدائياً ، وان يكون مستقلاً ، وان يساهم فكرياً ويكون مبدعاً وان يساهم في عملية التغيير في مجتمعه ، والسؤال هو الى اي حد نحن بصدد الطلب من المثقف العربي اشياء تعجيزية غير قابلة للتحقيق؟ فإذا اخذنا بنظر الاعتبار ان ما يسمى المعادلة الصعبة الآن ، **معادلة الخبز مع الكرامة** ، والتي كانت اقل صعوبة نسبياً في الماضي ، واصبحت اكثر صعوبة في الوقت الحاضر مع تزايد دور الدولة وتدخلها الاقتصادي والسياسي ... فهل يستطيع المثقف ، حتى المثقف الطليعي والفدائي ، ان يحقق هذه المعادلة الصعبة : الخبز مع الكرامة ، في ظل الاوضاع العربية القائمة عموماً ؟ وهل اننا نطلب من المثقف اشياء تفوق قدراته وامكانياته ؟ وهل يستطيع المثقف العربي ، في ظل هذه المعادلة ان يحقق هذه المطالب كفرد معزول ، ام أنها تتطلب ان يعمل المثقف ، هذا المثقف الطليعي ، ضمن مجموعة طليعية فدائية تستطيع ان تعاون بعضها بعضاً ، او تدعم بعضها بعضاً ، ام ان اقصى ما سنحصل عليه في مثل هذه الاوضاع هو عملية الصمود ، ان يصمد المثقف ولا ينحدر الى الهاوية ، لكنه سيبقى عاجزاً كفرد وحده عن المساهمة الجدية في عملية التغيير المطلوب ما لم يتعاون ضمن محيط اوسع من المثقفين الطليعيين ؟

○ **قسطنطين زريق** : طبعاً الاوضاع التي عرضناها هي اوضاع عسيرة ، ولا نريد ان تكون نظرتنا الى مهمة المثقف مغرقة في المثالية ، بمعنى ان نطلب منه الاستشهاد ، وإن كان الاستشهاد ضرورياً في بعض الاحيان . فالاستشهاد له اشكال مختلفة ، لا ينحصر في ساحة النضال ، بل قد يكون من اجل صيانة الكرامة وهي اهم ما يملكه المثقف . انما لا بد من ان ننظر الى الصعوبات والمشكلات التي تحيط بالمثقف على انها تحديات . وهناك تفاعل بين التحديات من جهة وبين القدرة على التصدي لها من جهة اخرى . التحديات كثيرة ومرهقة ، ولذلك لا سبيل الاَّ بتنمية قدرة المثقفين لمواجهتها ، سواء بالصمود امامها او بالتغلب عليها . فالحد الادنى هو الصمود ثم تأتي وسائل التغلب عليها . وإذا لم يتخذ المثقفون هدفاً لهم هو الرد على التحديات صموداً وتغلباً فسيظلون مقصرين في وظيفتهم ، وقد

تؤخذ بعين الاعتبار كل العوامل الضاغطة عليهم ، لكن يبقى ان عليهم واجباً ناجماً عن الصفة التي تسمهم ، وعن المهمة التي يتصدون لها .

ولا شك ان هذه القدرة على الصمود ، وعلى التغلب ، تقوى بقدر الوعي القائم بين المثقفين ، لجلال هذه المهمة . ومن الخير ان نؤكد اهمية هذا الوعي . لقد تكلمنا عن واجب المثقفين في توعية الجماهير ، والمهم كذلك ان نركّز على جهد آخر يماشيه بل يتقدم عليه هو الجهد لتوعية المثقفين انفسهم الى حقيقة مسؤوليتهم ودورهم في المجتمع . لننظر في المجتمعات الاخرى ، لندرس المجتمعات المتقدمة ، في الغرب او الشرق ، كم من العلماء والمفكرين استشهدوا في سبيل عقائدهم ، والكثير منهم سجنوا او شرِّدوا . هذا هو جزء من اعباء الوظيفة ، بل عنوان من ابرز عناوين خطورتها .

وهذا الوعي للواجبات الملقاة على المثقفين تزداد قوته ويبرز اثره بمقدار التعامل المشترك بينهم ، فحتى نتطلّع الى بناء مجتمع عربي متلاحم ، فليبدأ المثقفون بأن يوثقوا اواصر التضامن والتلاحم فيما بينهم ، متغلبين او محاولين التغلب على الصعاب القائمة ، عندما يصبحون اقدر على ان يواجهوا هذه الصعاب كتحديات وان يردوا عليها ردوداً مجدية ومشرفة صموداً وتغلباً .

○ **نادر فرجاني** : قد يكون التعقيب ، بعد هذا الخطاب الرائع ، ضرباً من الحماقة . لكني فقط اتكلم لاوافق تماماً على ما جاء به د. زريق من اننا يجب ان نتوقع الاستشهاد من بعض المثقفين على الاقل . وطبعاً النضال درجات . ولكن النقطة الجوهرية في هـذا المجال هي ان مطالب المثقفين لا يمكن أن تتحقق الا اذا جعلوا الاستشهاد مطلبهم . ولن يعني هذا في النهاية استشهاد الجميع بالطبع ، وانما تؤخذ الدنيا غلابا . على سبيل المثال ، لن تتحقق الديموقراطية بمجرد المطالبة بها ، ولكنها يمكن أن تتحقق اذا ناضلت فئات الشعب من اجلها ، وعلى رأسهم المثقفون الذين ينادون بالديموقراطية بأعلى الاصوات .

النقطة الوحيدة التي اختلف فيها ، ولو قليلاً ، مع د. زريق هي انني لا اعتقد انه يمكن قيام التحام كامل بين المثقفين كلهم . حتى محاولة الوصول الى هذا الوضع فيها قدر كبـير من المثاليـة . فللمثقفين ، بطبيعة الامر ، انتماءات اجتماعية ـ سياسية مختلفة . عندما تحدثنا عن طليعة المثقفين ، عنينا شريحة من المثقفين تتبنى توجهاً محدداً : توجه تقدمي عروبي وتحرري . ولكن هناك شريحة لا تتبنى هذا التوجه ، وهناك شريحة ثالثة ستكون ضده . ولهذا فإن من الضروري الاقرار بوجود تناقضات داخل فئة المثقفين . وعلى طليعة المثقفين ان تتوقع مثل هذه التناقضات وتأخذ مواجهتها كجانب مهم في عملية النضال من اجل التقدم والوحدة والتحرر في الوطن العربي .

○ **قسطنطين زريق** : هناك تناقضات بين المثقفين يمكن أن تُحلّ بالحوار ، بين الذين هم في خط واحد ، وهناك تناقضات اخرى لا بد من أن تُحلّ بالنزاع والنضال ، وكلما قوي الالتحام حول اتجاه واحد ، وساد هذا الاتجاه الفكـر الحواري ، كانت هذه الجماعة اقرب الى ان تثبّت نفسها ازاء غيرها وازاء السلطة .

● **خير الدين حسيب** : وفي الختام اود أن اشكركم جميعاً على مساهماتكم العظيمة في هذه الندوة التي رغم ان المشاركين فيها كانوا يمثلون اجيالاً ثـلاثة ، ولكنهـا عكست تقاربـاً شديـداً في تشخيص الاسباب والتطلع الى المستقبل وهي بداية تدعو الى التفاؤل ، والى مزيد من الحوار حول هذا الموضوع المهم □